النصرة

لرسول الأمة صلى اللّه عليه وسلم

خطبة جمعة ألقاها

أبو عبدالرحمن رشاد بن أحمد الضالعي

وفقه الله وهداه وسدده

كانت هذه الخطبة في دار الحديث السلفية للعلوم الشرعية بالضالع

بتاريخ ٢٥ ربيع الأول ١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب٧٠ - ٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثه بدعة، وكل بدعة ضلالة،

وكل ضلالة في النار، **أيها الناس**: يقول ربنا تبارك وتعالى في كتابه الكريم: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)**﴾.

يخاطب الله جل وعلا نبيَّه ﷺ بهذه السورة العظيمة، ويُذَكِّرُه فيها بما امتن به عليه من الخير الكثير، ومن الفضل الوفير، ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾ ألم نُوَسِّع لك صدرك، ونجعله رَحْبَاً منشرحاً، غير ضيِّقٍ ولا كدر، ﴿**وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ**﴾ أي: الذي أثقلك حِمله، ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ وهذه مِنَّةٌ منه جل وعلا أنه رفع له ذكره، قال بعض السلف في تفسيرها: لا أُذكَر إلا ذُكِرَت معي، فما من متشهدٍ، ولا شاهد لله بالتوحيد، ولا خطيب، ولا مصلٍ، إلا ويذكر النبي صلى الله عليه وسلم مع ذكره لله عز وجل، فرفع الله عز وجل له ذكره، ورفع الله عز وجل له قدره، وجَمَعَ من الفضائل ما لم يجتمع في أمم بأسرها، فضلاً عن أفراد أو جماعات، أو شعوب، فرفعه الله، وأكرمه، وعظَّمه.

ولكن جرت سُنَّةُ الله عز وجل أن يبتلي الصالحين بأعدائهم من المجرمين لرفعة درجاتهم، وتكثير حسناتهم، وتعظيم منازلهم، ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْـمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا**﴾، فما من نبي إلا وجعل الله عز وجل له في هذه الحياة من يعاديه من المجرمين، ومن يؤذيه، ربما يؤذيه بيده، أو لسانه، أو أفعاله، ﴿**قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ**﴾ قالوا فيه: ساحر، وقالوا فيه: شاعر، وقالوا فيه: مجنون، وقالوا فيه: كذَّاب، وقالوا فيه: أسوأ الأقوال، ﴿**قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ الله وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْـمُرْسَلِينَ**﴾ فما من نبي إلا وابتلاه الله بالمجرمين والكافرين، رُمي الأنبياء بالضلالة، ورُموا بالسفاهة، ورُموا بالجنون، قال قوم نوح لنوح: ﴿**إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾، وقال قوم هود لهود: ﴿**إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ وهذه سُنَّة الله -عز وجل- في خلقه أجمعين، فليس بغريب، ولا بجديد ما يفعله الكافرون، والمشركون، من اليهود والنصارى، ومن المشركين عَبَدَة الأوثان، ليس بغريبٍ عنهم عِداء الأنبياء، ولا الطعن

فيهم، ولا الاستهزاء بهم، فما تسمعونه وما يُرَوَّج له في أيامنا هذه الأيام، من بعض وسائل الإعلام من السخرية والاستهزاء برسول الله عليه الصلاة والسلام، فإن هذا شأن الكافرين، وسِمَةُ المشركين في كل زمانٍ ومكان، ولكن الله -عز وجل- قد تكفَّل أن يكفيه شر هؤلاء جميعاً حياً وميتاً، وقد تكفَّل أن يبتُر ويقطع ويُهلك من عاداه، ومن أبغضه وشنأه، ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾ فكلُّ مستهزءٍ بالرسول صلى الله عليه وسلم فإن الله جل وعلا يكفيه إياه، وينتقم منه، ويعذبه في الدنيا قبل الآخرة، ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾ أي: إن مُبْغِضَك ومُعادِيَك في هذه الحياة الدنيا هو المبتور، هو المقطوع، هو الهالك، في صحيح الإمام البخاريعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الله قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**». فمن عادى ولياً من أولياء الله -عز وجل- فقد آذنه الله -عز وجل- أي أعلَمَه بالحرب في هذه الحياة الدنيا قبل الآخرة، ولذا جرت العادة أن كل مُتَنَقِّصٍ وكل مُعَادٍ وكل مستهزئ برسل الله -عليهم الصلاة والسلام- أن الله يمحقه، ويهلكه، ويقتله في الحياة الدنيا، ويعذبه في

الآخرة، كتب النبي -عليه الصلاة والسلام- كُتباً إلى الملوك، كتب كتاباً إلى قيصر ملك الروم، وكتب كتاباً إلى كسرى ملك فارس، وكلُّهم لم يؤمنوا، ولم يستجيبوا لدعوته، ولكن قيصر أكرم كتابه، وأكرم رسولَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأما كِسرى فمزَّق الكتاب، وسخر من الرسول، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَزَّقَ الله مُلْكَهُ**».

قال شيخ الاسلام ابن تيمية عليه رحمة الله: «وقد كَتَبَ النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر، وكلاهما لم يُسلِم، لكن قيصر أَكْرَمَ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم، وأكرم رسوله، فثبت ملكه، فيقال: إن الـمُلْك باقٍ في ذريته إلى اليوم، وكسرى مزَّق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقتله الله بعد قليل، ومزَّق ملكه كل ممزق، ولم يبق للأكاسرة ملك، وهذا -والله أعلم- تحقيق لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾ فكل من شَنَأَه أو أبغضه وعاداه فإن الله يقطع دابره، ويمحق عينه وأثره». انتهى كلامه رحمه الله(١).

---

(١) "الصارم المسلول" ص (١٦٤-١٦٥).

وهكذا حكى شيخ الاسلام رحمه الله عن المجاهدين في الثغور، قالوا: إنَّا لنحاصر الحصون الأشهر، الشهر والشهرين حتى نيأس من فتحها، فإذا سمعناهم يسبون رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقعون فيه، استبشرنا بنصر الله، فلم نلبث على ذلك إلا اليوم أو اليومين حتى يفتح الله علينا تلك الحصون(١).

---

(١) قال شيخ الإسلام رحمه الله في "الصارم المسلول" ص (١١٧): «ونظير هذا ما حَدَّثَنَاه أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة، عما جرَّبوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر، وهو ممتنع علينا، حتى نكاد نيأس منه ،حتى إذ تعرَّض أهله لسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والوقيعة في عرضه، تعجَّلنا فتحَه، وتيسَّر ولم يكد يتأخر إلا يوما أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عُنْوَة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه، مع امتلاء القلوب غيظا عليهم بما قالوا فيه.

وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات: أن المسلمين من أهل المغرب حالهم مع النصارى كذلك، ومن سنة الله أن يعذب أعداءه، تارة بعذاب من عنده، وتارة بأيدي عباده المؤمنين. انتهى.

أكرمه الله عز وجل، فكُلٌّ من عاداه، كلٌّ من سخِر منه يقصمه الله في الدنيا قبل الآخرة، جاء في الصحيحين عَنْ أَنَسٍ بن مالك رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ، وَقَرَأَ البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَادَ نَصْرَانِيًّا، فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ [ولفظ مسلم: كَانَ مِنَّا رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ قَدْ قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ وَكَانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْطَلَقَ هَارِبًا حَتَّى لَحِقَ بِأَهْلِ الْكِتَابِ، قَالَ: فَرَفَعُوهُ، قَالُوا: هَذَا قَدْ كَانَ يَكْتُبُ لِمُحَمَّدٍ فَأُعْجِبُوا بِهِ، فَمَا لَبِثَ أَنْ قَصَمَ اللهُ عُنُقَهُ فِيهِمْ] فَأَمَاتَهُ الله فَدَفَنُوهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ وَأَعْمَقُوا لَهُ فِي الأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَعَلِمُوا: أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ، فَأَلْقَوْهُ.

عادَى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطعن فيه، واستهزأ به، فقصمه الله في الدنيا، وجعله عبرة لغيره.

وهكذا جرت سُنَّة الله التي لا مُبدِّل لها، ذكر الذهبي في كتابه "معجم الشيوخ" أن رجلاً كان من المغول تَنَصَّر، فبينما هم يوماً في خيمةٍ في يومٍ فيه بردٌ وثلج، إذ قام أحد النصارى يطعن في رسول الله عليه الصلاة والسلام، ويذمُّه، ويقدح فيه، وجعل يقول: ما هو محمد؟ وهل محمدٌ إلا رجلٌ كان يرعى الغنم، فأتى أناسا جياعا، فجعل يعطيهم المال حتى ربطهم وأخذهم، قال: وفي الخيمة كلبٌ من كلاب الصيد، قال: فوثب عليه وخمش وجهه ويديه، حتى قاموا إليه وكفُّوه عنه، فقال: له بعض الحاضرين: إنما وثب عليك هذا الكلب لطعنك في محمد قال: كلا، ولكن هذا كلبٌ عزيز رآني أُشير بيدي إليه فظن أني أُريد ضَرْبَه، ثم أقبل مرةً أخرى، وجعل يطعن في النبي عليه الصلاة والسلام، فوثب ذلك الكلب، وعظَّه في حلقه حتى قتله، ولم يُفلتوه منه حتى مات. وكان إبراهيم بن محمد الطيبي رحمه الله يُقسم بالله أنه شهد هذا المنظر بعينه في بعض بلاد العجم(١).

---

(١) قال الإمام الذهبي رحمه الله في كتابه "معجم الشيوخ" (٢/ ٥٥): حَدَّثَنَا الزَّيْنُ عَلِيُّ بْنُ مَرْزُوقٍ -وهو ثقة-، بِحَضْرَةِ شَيْخِنَا تَقِيِّ الدِّينِ الْـمِنْصَاتِيِّ، سَمِعْتُ الشَّيْخَ جَمَالَ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ

قال الذهبي رحمه الله: وَأَسْلَمَ بِسَبَبِ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ الْعَظِيمَةِ مِنَ الْمُغُولِ نَحْوٌ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا وَاشْتَهَرَتِ الْوَاقِعَةُ.

هذه سُنَّة الله -عز وجل- في كل من سخِر منه، واستهزأ به، -عليه الصلاة والسلام- أن يقصمه الله.

بْنَ مُحَمَّدٍ الطَّيْبِيَّ ابْنَ الْوَاصِلِيِّ يَقُولُ فِي مَلإٍ مِنَ النَّاسِ: حَضَرْتُ عِنْدَ سونجق خزندار هُولاكُو وَأَبْغَا، وَكَانَ مِمَّنْ تَنَصَّرَ مِنَ الْـمَغُولِ، وَذَلِكَ فِي دَوْلَةِ أَبْغَا فِي أَوَّلِهَا، وَكُنَّا فِي مُخَيَّمِهِ، وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أُمَرَاءِ الْـمَغُولِ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ كِبَارِ النَّصَارَى فِي يَوْمِ ثَلْجٍ، فَقَالَ نَصْرَانِيٌّ كَبِيرٌ لَعِينٌ: أَيُّ شَيْءٍ كَانَ مُحَمَّدٌ؟ يَعْنِي رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ رَاعِيًا، وَقَامَ فِي نَاسٍ عَرَبٍ جِيَاعٍ فَبَقِيَ يُعْطِيهِمُ الْـمَالَ وَيَزْهَدُ فِيهِ فَيَرْبُطُهُمْ، وَأَخَذَ يُبَالِغُ فِي تَنَقُّصِ الرَّسُولِ، وَهُنَاكَ كَلْبُ صَيْدٍ عَزِيزٌ عَلَى سونجق فِي سِلْسِلَةِ ذَهَبٍ فَنَهَضَ الْكَلْبُ، وَقَلَعَ السِّلْسِلَةَ وَوَثَبَ عَلَى ذَاكَ النَّصْرَانِيِّ فَخَمَشَهُ وَأَدْمَاهُ، فَقَامُوا إِلَيْهِ، وَكَفُّوهُ عَنْهُ وَسَلْسَلُوهُ، فَقَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ: هَذَا لِكَلامِكَ فِي مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَتَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا مِنْ أَجْلِ كَلامِي فِي مُحَمَّدٍ؟ لا، وَلَكِنَّ هَذَا كَلْبٌ عَزِيزُ النَّفْسِ رَآنِي أُشِيرُ بِيَدِي فَظَنَّ أَنِّي أُرِيدُ ضَرْبَهُ فَوَثَبَ، ثُمَّ أَخَذَ أَيْضًا يَتَنَقَّصُ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَزِيدُ فِي ذَلِكَ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ الْكَلْبُ، ثَانِيًا وَقَطَعَ السِّلْسِلَةَ وَافْتَرَسَهُ، وَالله الْعَظِيمِ، وَأَنَا أَنْظُرُ ثُمَّ عَضَّ عَلَى زَرْدَمَتِهِ -أي حلقه- فَاقْتَلَعَهَا فَمَاتَ الْـمَلْعُونُ.

فهؤلاء المستهزئون والمستهترون والممثِّلون سيهلكهم الله ويذلهم في الحياة الدنيا، فإن الله قد تولى الدفاع عن نبيه ﷺ ولو من كلمةٍ واحدة تُقال فيه.

وهكذا لما قال بعض المشركين: إن محمداً رجلٌ أبتر لا عَقِبَ له من الذكور، اتركوه فإذا مات استرحنا منه، فأنزل الله سورةً تدفع هذه المقالة، وتبين هذه الفِرية: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾ أي مُبغضُك هو المقطوع، هو المبتور، هو الهالك في هذه الحياة الدنيا .

ولما أبطأ جبريل على النبي عليه الصلاة والسلام بعض الليالي لم يأتيه فيها الوحي كما في الصحيحين عن جندب قالوا: «وُدِعَ محمدٌ» أي: تُرك، تركه ربه، فأنزل الله عز وجل ﴿**وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**﴾ أبداً ما ودَّعك الله، وما تركك، وما قلاك، بل أنت معظمٌ، مكرمٌ محترمٌ.

فهذا ربنا عز وجل ينزل القرآن دفاعاً عن رسوله عليه الصلاة والسلام في كلمةٍ، أو لفظةٍ تقال فيه، فكيف بمن يستهزأ به؟! أو يتنقص منه؟! عليه

الصلاة والسلام، لا شك أن هذا إعلامٌ وإيذانٌ من الله عز وجل بهلكته، وعذابه، ودماره، وهذا من التبشير بهلاك الكافرين.

وأيضاً هذا فيه رسالةٌ لدعاة الـحُـرِّيَّات، لدعاة التقارب مع اليهود والنصارى، لدعاة المحبين للكافرين والمنبهرين بهم، لدعاة المنظمات، هؤلاء هم الكفار الذين تغترُّون بهم، وتظنون أنهم يساعدون المسلمين، ويُقدِّمون لهم الإغاثات، ها هم يشوِّهون الإسلام ويحتقرونه، ويطعنون في رسول الإسلام، ويستهزئون به، ويسخرون منه، وبعض الناس مغفل، ما زال يحبهم، ويحسن بهم الظن، وينبهر بأفعالهم، إذا جاء شيء تافه من المنظمات، كبعض الأطعمة أو الأدوية ونحوها، -التي يريدون مقابلها سلب دين المسلمين وأخلاقهم وقِيَمِهم- ترى من المسلمين من يحسن بهم الظن، ومن يثني عليهم، بل يدعو إلى محبتهم، واحترامهم، والتقارب معهم.

عباد الله هؤلاء هم الكافرون: ﴿**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين .

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

أيها الناس: إن الناظر في حياة السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم رضي الله عنهم يرى أنهم قد ضربوا أروع الأمثلة، وسطروا أعظم المواقف في الدفاع عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، وفي الغضب له، وفي الانتصار له .

فقد روى أبو داود والنسائي عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَقَعُ فِيهِ، فَيَنْهَاهَا، فَلَا تَنْتَهِي، وَيَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَشْتُمُهُ، فَأَخَذَ الْمِغْوَلَ فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا، وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا، فَوَقَعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ، فَلَطَّخَتْ مَا هُنَاكَ بِالدَّمِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ: «**أَنْشُدُ اللهَ رَجُلًا فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلَّا قَامَ**»، فَقَامَ الْأَعْمَى يَتَخَطَّى النَّاسَ وَهُوَ

يَتَزَلْزَلُ حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَنَا صَاحِبُهَا، كَانَتْ تَشْتُمُكَ، وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي، وَأَزْجُرُهَا، فَلَا تَنْزَجِرُ، وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ، وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً، فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ جَعَلَتْ تَشْتُمُكَ، وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَخَذْتُ الْمِغْوَلَ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا، وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ**». لما جعلت تطعن في رسول الله عليه الصلاة والسلام لم يكن لها جزاء إلا القتل، وهكذا من سبَّ رسول الله ﷺ وطعن فيه، جزاؤه القتل في هذه الحياة، حتى وإن تاب، وإن ندم، فيقتل حَدًّا بجنايته في طعنه في رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وهكذا كتب الخليفةُ هارونُ الرشيد إلى الإمام مالك بن أنس رحمهما الله أن بعض الناس طعن في النبي عليه الصلاة والسلام، وأن بعض الـمُتفقِّهة أفتوا بجلده، فغضب مالك، وقال: يا أمير المؤمنين ما بقاء الأمة بعد نبيها، من شتم نبياً من الأنبياء قُتل.

ورُفع إلى الإمام السُّبُكي رحمه الله نصرانيٌ طعن في رسول الله عليه الصلاة والسلام فألَّف كتابه في "شاتم الرسول عليه الصلاة والسلام" وكتب

يُقتل كما قتل النبي عليه الصلاة والسلام كعب بن الأشرف، ويُطهَّر العرض الرفيع من ولوغ هذا الكلب النصراني، الذي طعن في رسول الله عليه الصلاة والسلام.

عباد الله لقد كان أصحاب نبينا محمد عليه الصلاة والسلام معظمين له، مبجِّلين له، مقدمين نفسه على أنفسهم، ففي صحيح البخاري في الحديث الطويل في قصة الحديبية لما قدم عروة بن مسعود الثقفي على النبي ﷺ، فجعل كلما كلَّم النبي عليه الصلاة والسلام يمد يده إلى لحيته، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ المِغْفَرُ، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ لَهُ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويرقبهم بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَالله مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ،

فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، وَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللهِ ما رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا، وَاللهِ ما تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا.

فكان الصحابة رضي الله عنهم يعظمون النبي ﷺ ويُجلُّونه، ويقدمون نفوسهم دون نفسه ﷺ، ولذا جاء في صحيح البخاري أن أبا طَلْحَةَ قال يوم أحد: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يا رسول، لاَ تُشْرِفْ [أي لا ترتفع]، يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ القَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ.

وهكذا جاء عند أبي نعيم في كتابه "معرفة الصحابة" وابن الأثير في كتابه "أُسْد الغابة في معرفة الصحابة" بسندٍ رجاله ثقات عن عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بن قتادة -وهو من التابعين الذين كانوا من علماء المغازي-، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْهُمْ زَيْدُ بْنُ الدَّثِنَةِ أَخُو

بَنِي بَيَاضَةَ بْنِ عَامِرٍ، فَأَمَّا زَيْدُ بْنُ الدَّثِنَةِ فَأُسِرَ، فَقُدِمَ بِهِ مَكَّةَ، فَبَعَثَ بِهِ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ مَعَ مَوْلًى لَهُ يُقَالُ لَهُ نِسْطَاسٌ إِلَى التَّنْعِيمِ، فَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلَهُ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِيهِمْ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ حِينَ قُدِّمَ لِيُقْتَلَ: نَشَدْتُكَ بِالله يَا زَيْدُ، أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا الْآنَ بِمَكَانِكَ يُضْرَبُ عُنُقُهُ، وَأَنَّكَ فِي أَهْلِكَ؟ قَالَ: وَالله مَا أُحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنِّي جَالِسٌ فِي أَهْلِي، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا.

ليس القتل، أي لستُ أُحب أن أكون في أهلي ومحمد يُقتل، بل والله لو خُيِّرتُ أن أُقتل أو شوكةٌ تصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لاخترتُ أن أقتل، ولا تصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم شوكة. فجعل أبو سفيان يقول: والله ما رأيت أحداً من الناس أعظم حباً لأحد من أصحاب محمدٍ لمحمد.

وفي صحيح مسلم أن بعض المشركين هجا رسول الله ﷺ، فأجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه، بأبيات طويلات طيبات مباركات، ومنها:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفًا ... رَسُولَ اللهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

تَكِلْتُ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَنَفَيْ كَدَاءِ

يُبَارِينَ الْأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسَلُ الظِّمَاءُ

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ... تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ

فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ

وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَوْمٍ ... يُعِزُّ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ

وَقَالَ اللهُ: قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا ... يَقُولُ الْحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ

وَقَالَ اللهُ: قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا ... هُمُ الْأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ

لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ ... سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ

وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللهِ فِينَا ... وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

فقال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِحَسَّانَ: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ**». وفي رواية: أن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان يَقُولُ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ: «**اهْجُهُمْ، أَوْ هَاجِهِمْ، وَجِبْرِيلُ مَعَكَ**». وفي رواية: أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان يَقُولُ: «**يَا حَسَّانُ أَجِبْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**».

عباد الله إن الواجب تجاه هذه الأحداث ليس هو الحماسات، ولا الانفعالات، ولا المظاهرات، ولا التشبه بالكافرين والمشركين، فإنهم يصنعون هذه الأشياء لأجل استفزاز المسلمين، يصنعون هذه الأشياء لأجل إثارة المسلمين، كي يتسلطوا عليهم، ولكن الواجب على المسلمين تحقيق عقيدة الولاء والبراء، المحبة والموالاة للمؤمنين، والبغض والعداوة الشديدة للكافرين، أما أننا نقابل هذه الأفعال بالمظاهرات والتشبه بالكافرين، فليس هذا من النصرة لرسول الله ﷺ، فإن هذه المظاهرات هي في الأصل من أفعال الكافرين، فكيف نعاديهم بالتشبه بهم، وبارتكاب أمر هو من أفعالهم.

كذلك من الواجب علينا أن لا نحسن الظن بالمشركين، وأن لا يكون لهم في قلوبنا تعظيم ولا مودة مهما فعلوا، والله مهما فعلوا، ومهما حاولوا يظهرون الإحسان فإنهم ألدُّ الأعداء، هم يقتلون المسلمين، هم شردوا

مئات الآلاف من المسلمين من ديارهم وبيوتهم، حتى صاروا متسولين على أبواب المساجد، ثم يأتوننا بشيء من الدواء، أو شيءٍ من الغذاء، وبعض المسلمين يضعف عقله عن إدراك هذه الأمور، فيتأثر بذلك.

إن الواجب على المسلمين هو محبة رسول الله ﷺ، وتعظيمه في مدارسهم، ومساجدهم، وبيوتهم، وبثُّ شمائله، وصفاته وأخلاقه، حتى تُزرع محبته وتعظيمه في قلوب الناس.

إن الواجب هو الإقبال على هذا الدين، وتعلُّم الشريعة، والإقبال على الفقه في دين الله عز وجل حتى تعرف عدوك من صديقك، وحتى تعرف كيد أعداء الله جل وعلا بالمسلمين .

وهكذا ليس من النصرة لرسول الله ﷺ أن نحتفل بمولده، وأن نجتمع لذلك، لأن هذا الأمر بدعة محدثة خلاف هدي الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، فكيف نريد أن ننصر رسول الله بمخالفة سنته، والعمل بما لم يعمله ولم يدعُ إليه، لا يمكن أن يكون في ذلك نصرة، بل النصرة بالعمل بسنته ﷺ والتمسُّك بها وتطبيقها على حياتنا.

فنسأل الله جل وعلا بقوته وجبروته وعزته وجلاله أن يُذل الكفر والكافرين، اللهم أذل الكفر والكافرين، اللهم أذل الكفر والكافرين، اللهم مزِّق أعداء الدين، اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك، اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك، اللهم إنهم قد مزقوا كتابك فمزقهم، اللهم إنهم قد طعنوا في نبيك فاقتلهم، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أذل الكفر والكافرين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، اللهم صل على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.